

﴿ الحرم ومكاته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حواليتها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك
وحدود الحرم من مكة تختلف قريباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال
ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال
ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض
المقطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان
ابن أد خوفاً من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة
قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل وممن ذكر ذلك السيوطي
في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم
الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها ثم لم
تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدها ثم
لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا يفتدون في
نواذيبهم فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن ربوع المخزومي
وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كان عثمان بن
عفان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم
فبعث عبد الرحمن تقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن
ابن أزهر وكان سعيد بن ربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر
مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل
سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن
مروان أرسل الى أكبر شيخ يلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من
بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم ، وقال النووي في شرح المهذب ان
تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة
الجعرانة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حواليتها حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله

وأختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حراماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤاله ويعاضده رواية أبى هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليه واني عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لابتيتها عضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثاني » انها كانت منذ وجدت حراماً آمناً من الجبارة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبى شريح الخزاعى أن النبي لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لايجل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ أو يعضد (١) بها شجراً وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليبليغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضا

فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لاتزال أنيسة اذا خرجت منه فليست تغادر
وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع أمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه العصافير (٣) اقسام بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سبي مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي الى يدي
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدي في العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويله وان كان
مقيماً في الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدي اناوة ولا تدين للملوك وهي كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراماً ولم يملكه أحد

قال الزبيران بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا
أندري من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنقوا من أن يدينوا الملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبي
مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامي من قريش (٣)

وهي الحديثة النتاج من الحيوانات جمع طائفة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الفيل) بكسر الفين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى

(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته

(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتميش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ما شدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتمظم حرمة مكة

ابني لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الفرور
ابني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابني يضرب وجهه ويلج بخديه السمير
ابني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا .
وإذا نزل أحدكم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزهها له
ولا يبيتون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيبيويه الأجب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت العمالقة وجرم
حين ولايتهم الحرم ينتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة
حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرّ فلما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي
ابن كلاب بنى دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بها جهة
البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لئلا يهجمهم العرب
ولا تستحل قتلهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن
منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب
بنى جحج وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك
بهذا الجوارحتى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله
بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تقيء عليها
الكعبة صباحاً وتقيء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف
بالبيت فينقطع شسع لعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف
رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

هاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهم في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر ظاماً ولا بغيماً ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجته وقد روى الاصمعي قول الراجز في تلبيته

يامكة الفاجر مكى مكا ولا تمكى مذحجا وعكا
وكانت تسمى أيضا بالناسة لانها تنفس من الحُد فيها أى تطرده وتنفيه
وبالناسة لانها تبس من الحُد فيها أى تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

ولقد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامة ودينياً متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما آذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل
في مكة لما اطرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

لا م انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبية السلمى باع متاعا من أبى بن
خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بنى جمح فلم يقم بجواره فقال
يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم

أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمى فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلقى ناديهم خشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معتصما تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرى قريش وحلا فى ذؤابتها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجاج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحماسة واما
الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العقلاء ان ما كان يقع من المظالم فى الحرم لو لم يقف
الحق فى سبيلها وترد الحقوق لأصحابها اسقطت هيبه الحرم من نفوس العرب
واعتدى على سكان البلد الحرام فتكلموا فى ذلك ثم تحالفوا على نصره المظلوم
على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان فى الحقيقة حلقة سياسياً اجتماعياً
عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ودفمهم لعقده أيضاً الدين
مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الذمة بالكسر العهد

والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان

الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز

والشرف وكل شىء أعلاه

أما العدوان الذي كان سبباً مباشراً لهذا الحلف فهو ما روى أن رجلاً من بني زبيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له فاشترأها منه العاص بن وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذت القبائل عنه وانتهره الإحلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
أقام من بني سهم بدمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لأخشى أن يصينا ما أصاب الأمم السالفة من ساكنى مكة ومشى إلى عبد الله بن جدعان التيمي وهو يومئذ شيخ قريش فأخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران ظنونهما للبنى . أحدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة . وثانيهما أن ركبا منهم أقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له القطيعة فصبوا فضلة خمر لهم في أناء فشربوها ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الأناء فبب القوم فشربوها منه فأتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني أسد

ابن عبد العزى (١) وبني زهرة وبني تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار في شعبان وحلف الفضول بعدها في ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا في شهر حرام قياماً يتماشون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى في المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به الى البيت ففسدت به أركانه ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا تفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكثروا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حاف الفضول ولقد شهدته رسول الله فعن عائشة انها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر النعم وانى تقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاهدوا الا يقيم بيطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتوافقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

- (١) تابعنا ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول (٢) في رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التي عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبنا الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبنا المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد سبق قريشاً الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن تبعمهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
فضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيلى بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الجرهميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضل وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبى بكر قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفاً لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهلها والا يميز ظالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .

فمن أثار نفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رجلاً من خثعم قدم مكة معتمراً أو حاجاً ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضاً
نساء العالمين فاعتصمها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعدينى
على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسياهم
يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى في ابنتى وانزعها منى قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تماقدنا عليه فأخرجها إليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجمحى فظلمه . وكان يسيء المخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فأخبرهم فقالوا له اذهب فأخبره أنك أتيتنا فان اعطاك حقاك والأ
فارجع | الينا فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياهم بعينه وقال الثمالي فى ذلك

اياخذنى فى بطن مكة ظلما أبى ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى صارخاً لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويا أبى لكم حلف الفضول ظلما بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب
ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا فلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا الله ويا للمسلمين وجاز بالحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا فلان لخلقائه فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لا أخذن سببى ثم لأقومن
فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لأخذن سببى ثم لأقومن
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له ففرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك . قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقيتى الحسين فخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضبا فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجته . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بحشب الدوم وجرىد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لها وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلفت بشوبي راهب الشام والتي بناها قصي وحده وابن جزمهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها في الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أرتتم فان جاء أحد ممن
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
الخنزومي : يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر بنغي ولا يبيع ربا ولا مظلة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفي للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
في بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل في بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى محالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا
محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بشوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الشوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفه فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة في زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن نمير في عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقدوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك بيقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبي بكر ان الذي وضع الركن في بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه في

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الاخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة . ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسناء من تخليط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقية شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخضرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعباً للملوك بعدك لا يبدأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب

المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير

تكنى باسم ولده خبيب

هيبتة من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب رويوا انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢). ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصي بالبيت ولاته من جرمهم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دمأ ولا ميتة ولا مثلاة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)

فأقننا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)

ونحمرنا بالشعب ستة آلا فترى الناس نحوهن وورودا

ثم سرنا عنه ثوم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد

الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهى ثوب غايظ أو شىء ينسج من الخوص والاييف

(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حى من همدان (٣) الوصائل

ثياب حبرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض

واحدتها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على

محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة الحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب

له علم فى موضع المعضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالندور
يمشى إليها حافيا بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم أهلها لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال . بلغنى أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تحمل الخبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمين . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى في خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى في المال فقال لقريش انا أ كسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتي بالخبر الجندية من الجند وهي بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش المعدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس في بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالخبير الخبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن المعدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن المعدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تيمسلة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرفها عند البيت . وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته الالامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبي عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بكتيس احدى مدن مصر التي غفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسنديس بمدينة القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام وكانوا في الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاماً بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبه بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحريرة فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء وكساه الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة . وكان ابن عباس حاضراً في المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبه

العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيراً فنذرت ان هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته .

بها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدنة الكعبة كثرة الكساوي التي عليها فأمر بها فأنزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فمن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأقوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحنظلا لانسابهم لا اعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودي سميت زمزم لان الفرس كانت تخرج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذلك من سالفها الاقدم

والزمزمة كلام الجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض

شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آمينا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدنا

وطاف به وزمزم عند بر لاسماعيل تروى الشارينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أبيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لثباهم العرب لمكان البيت فامتثلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق
 بنائها تعظيما لها . و (كانوا) يتحامون التربيع في البناء كيلا يشبهها وأول من
 بنى بيتا مريبا حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبد العزى كما في الحيوان للجاحظ
 لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعي
 و (كانوا) يخلعون نملهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من
 خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يخلفون بها والشواهد
 على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبى سلمى

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرم
 و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودماؤها فلما جاء
 الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن
 ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبدا
 كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعدراء وصوروا بها
 ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذى تعبده
 عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك
 حتى بعث رسول الله فحما الصور وكسر الأصنام وخلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاورى
 البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى
 به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما
 استشعروا من تفهم القوة عند ما اتصروا على صداء — وهى قبيلة من
 مذحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد
 شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر
 الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعاهم هذا زهير بن جناب وهو

(١) فى القاموس بس بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيد كلب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى غرا غطفان فظفر بهم وأسر فارساً في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبتك فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنيسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها . ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبني العرب والعجم مثله ولن أنتهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني فقيم ابن عدي بن عامر نخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فلحق بقومه فلما أخبر بذلك أبرهة سأل عمن صنعه فقيل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالمفمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاوتهم وعامت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يمد مع رحله فامنع حلالك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزهوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبي فقتل طالما وهدم بناءه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

وافصر على آل الصلي ب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليهم ومحالم أبدا محالك (١)
ان كنت تاركهم وقبـ لمننا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرزوا في شمع الجبال والشعاب تخوفا
عليهم من معرفة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما
أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً قبله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى
جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
مراقه حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة فبرك
وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر . فامات حتى انصدع صدره عن قلبه
فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استدل أبرهة أهل اليمن في بناء القليس وبنائها بحجارة قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ
وبه بقايا من آثار ما كنها فاستعان بذلك على ما أرادته من بهجتها وحسنها
فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى تقل ما كان في قصر
بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو محبي الدين ابن العربي وجميع ما ننسبه له فن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة لاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع وكان له باب من نحاس عشر اذرع طولاً في اربع اذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً محلي بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب . ثم يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من اليلق مربعة عشرة اذرع في مثلها تعشى عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأ حورى . وهو في لسانهم الحر ، روى انه لما هلك أبرهة ومزقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بمضهم أخذ منها شيئاً فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمن ما اصابه الى الصنمين كعيب وامراته فتحاماهما الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمن العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس مالا كثيراً بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمن يقولون فيهما فعلق السلاسل في العجل ثم جذبهما النيران حتى أبرزتا من السور . فلما لم ير الناس شيئاً مما كانوا يخافون من مضرتهما اشترى رجل عراقي الخشبة وقطعها لدار له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاغ اليمن وطعامهم وقالوا أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهينة يقال له عبد الدار بن حُديب قال لقومه هلم بنى بيتنا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بان تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين اذا دعوا لمظيمة راغوا ولا ذوا في جوانب قودم
يلحون ان لا يأمرؤا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخنعم كلها وكثير من أحياء قضاة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاها الجاحظ في الحيوان محلين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعيتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولاً به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمت الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذرئته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومماشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية وما نعرزه اليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فقلعة آري آمنون فيه مقبلين وراجمين نصف الشهر للاقبال
ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج
وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأوقات تأتي
أهل مكة في المواسم وفي سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل
مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولا عتيادهم الاغتبار في رجب سموه من منصل الأل (١) لانهم كانوا ينصلون
الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه في منصل الأل بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان
وبالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا أكثر من سائر
العرب وتذبح فيه قرباناً تسميه الرجبية حتى أضيف إليها فقبل رجب مضر

وكانوا يرون رجبا أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء
على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن
الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افطع منظرا منه . فقيل له أما تعرفه
يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السلمي الذي دعا عليه عياض .
فقال لعياض اخبرني خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا
ابن عم لهم فكنت مستجيرا بهم وجارا لهم فظلموني وأخذوا مالي عدوانا
فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم يقد فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي
الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بنى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعشى اذا ما قيد أعيا القائدا

وكان ذلك في الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا في عام واحد وبقي منهم
هذا اعشى رماه الله في رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الأل الاسنة - والألة الحربية - يقال أله يؤله الا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الأشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ بالثأر أو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضي بها آخر الأشهر الحرم ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالي الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا سميت تلك فلتة (١)

فن مسارعهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن المقشعر الضبي فانه لما علم أن الحنيفس الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من جمادى الآخرة نهض عاصم قبل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء خباء الحنيفس ناداه مستنجدا فلما خرج اليه الحنيفس وسار معه دناها عاصم حتى قاربه ثم قتمه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) فسارت كلمته مثلاً

فاذا انسلخت الأشهر الحرم كانوا بين حروب أو قددت نارها الاحقاد
وغارات أثارها طلب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
الغنوي وهو شاعر جاهلي

ظلمان أبرقن الخريف وشمنه وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)
يعني دخلت شهور الحل نخفن ان يغير الهمام عليهن فتتكبن ناحيته
وتباعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوص بقنابله عند انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك انه خرج يوماً وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة

(١) في القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال
بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمنه) أبصرنه - والشيم النظر الى البرق
خاصة و (القنابل) جمع قنابلة وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماءهم واتبعهم العموص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيها ويتوعد .

لنعم فتى نلتم كأنت رذاه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا وشهور الحرم ثم تعرفوا قتييل أناس أو فتاة تعائق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
اسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشنفرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتله له هذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجلية وقال

قتلت حراما مهديا بملبد يبطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابحة في الشهر الحرام الحارث بن كعب
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سميد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضلت وكان عليه بردان فلقى الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابنه سميد فعرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فأنى أظنه صارمأ
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديد ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتيل يا ضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل قال الفرزدق .

لاتأمنن الحرب ان استعمارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراض بن قيس الكنانى عروة الرجال الهوازنى في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سئق الهدى وهو ما أهدي الى الحرم

خديت رووه وهو ان البراض كان سكيراً فاستقاخلمه قومه وتبرءوا منه فلجق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة (١) لتباع
 فيه ويشتري له بثمانها آدم من آدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أنتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً فكاب خايع يجيرها فخرج فيها عروة
 الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 فجار البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحريرة (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم ففي القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت
 الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومتى يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .
 وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحريرة كهريرة . وقد جعل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
 وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استتظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

صمه وأهله النبيل وعمره يومئذ عشرون سنة ووطن عليه السلام أبا براء ملاعب
الأسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني اني لم أشهده انهم تمدوا
على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب
بقوله (ولا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام
الفجار بالفجور وقريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا
وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة
سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغا . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل
على عمومتى . (وجوابنا في ذلك) ان بنى عامر بن صعصعة طالبوا أهل
الحرم من قريش وكنانة بجزيرة البراض بن قيس في قتله عروة الزحال . وقد
عاموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل
ذلك خليعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم
وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عليه . ولذلك أشهد
الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما
نصرت العرب على فارس يوم ذى قاربه عليه الصلاة والسلام وبمخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم يقاتل
رسول الله مع أعمامه وكان ينبل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت
حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى للمؤمن ان يقاتل
الا لتكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة
على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع ان من كان ينبل على المقاتلة مشترك
في القتال ومعين عليه . ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لاعلاء
كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم
لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا
الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسلى) قال في القاموس البسلى ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى صرة بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونها ولا يدفعونه يسرون به الى أي بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا:
النسيء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم القتال في الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يحاولون لشن الغارات وطلب الثارات كرهوا توالي ثلاثة أشهر لا يفزون فيها فأحدثوا النسأة وكانوا يسألونهم تأخير حرمة الحرم الى صفر قاله أبو علي القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد أنهم اذا احتاجوا للحرب في الحرم أخرؤا تحريمه الى صفر ثم يؤخرون صفرا في سنة أخرى . وكانت النسأة من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم انى من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسى يمشون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم
أما مكان النسيء فذكر انه كان جرة العقبة فكان يقف عندها الناسى
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها فلا أعاب
فى أمرى ولا يردلى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيى وخشم (١)
فاقتلوهم حيث ثقتموهم — فيسألونه أن ينسئهم شهرا فان قال ان آلهتمكم قد

(١) عبارته تقتضى ان النسيء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه الفيروز بادى فى القاموس لقوله (الأقماس رجل كنانى من نساء الشهور كان يقف عند جرة العقبة ويقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك فى الرجيين يعنى رجباً وشعبان اتفروا على اسم الله)

(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يمدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال
ان المهتم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة
وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب
من حجها فيقول لهم : ان آهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله
عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم تلك
عبارته فلعل الناسى كان ينسى مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب
الكعبة وحصر الناسئين ابن هشام فقال وكان أول من نسا الشهور على العرب
فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن
فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام
بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن
أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام
الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك
ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القلمس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم
صار النسيء فى ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر
الانبارى ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف
وفى صبح الاعشى ان أول من نسا النسيء عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢)
ولقد اكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم
— ومنا ناسىء الشهر القلمس — وقال غيره

نستوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعزم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن الكلبي انه قال فنسا قلع بن عباد سبع سنين
ونسا بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسا من بعده جنادة وهو
القلمس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النساء من
بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

لقد علمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)

فأى الناس فاتونا بوتز وأى الناس لم نملك لجاما (٢)

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسيء، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتدرك الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببضائهم

فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى مجنعة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو المجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فنسئوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذى الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان ثانيهما للنسيء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا . وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة

وفي الملل للشهرستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروية (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسيء بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلمت الفرس لجامه

اذا رددته عن تنزعه فمضع اللجام كالعلمك من نشاطه يعنى أى الناس لم نكفهم كما

تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقضت دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية) ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) قال «وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات الموقته بالاوقات تأكيذا لاعتباره بالأهلة دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور المعجمية». وقد حرم الله نوعي النسى لقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع «ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا - منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذوالقعدة وذو الحجة والحرم . ورجب مضر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عامًا ويحرمونه عامًا (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (٤) زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين والمعنى لقد عاد الحج في ذي القعدة وبطل النسى بنوعيه لما في أحدهما من كون السنة ثلاثة عشر شهرا ولما في الثاني من عدم توالي الثلاثة الأشهر الحرم

(١) قال النووي قالوا كان بين بنى مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب فكانت مضر تجعل رجباً ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهمذا أضافه النبي الى مضر وقال السهيلي انما قال رجب مضر لان ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجباً من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمته (٢) أى لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أى يحلون الشهر من الأشهر الحرم عامًا ويحرمونه عامًا - وهذا يصدق على النسى بنوعيه (٤) يواطئوا أى يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة التي هي الأربعة وقاتهم التخصيص الذي هو أحد الواجبين